مجلة مدارات سياسية
EISSN: 2710 - 8341 ISSN: 2588 - 1825
المجلد (6) / العـدد: (1)، (2022)، ص 180- 192

توظيف التهديد بسلاح اللاجئين.. أبعاد متداخلة لأزمة الهجرة على الحدود البيلاروسية – البولندية

Employing the threat of a refugee weapoon ..Overlapping dimensions of the migration crisis on the border Belarusian – Polish

صورية تريمة
جامعة باجي مختار، عنابة، (الجزائر)، sorayatrima@gmail.com

تاريخ الإستلام: 2022/03/12 تاريخ قبول النشر: 2022/ 04/16 تاريخ النشر: 2022/ 06/18

ملخص:

تكشف ملابسات أزمة اللاجئين على الحدود بين بيلاروسيا وبولندا، وإنعكاساتها على الأوضاع الإنسانية للاجئين، أهمية قضية الهجرة التي تحولت من مشهد إنساني، إلى "سلاح" في أيدي بعض الدول لتحصيل مكاسب سياسية معينة. تهدف الدراسة إلى الوقوف عند التجاذب السياسي بين الطرفين، الذي كان ضحيته آلاف المهاجرين العالقين في الغابات التي يحتمون داخلها على الحدود بين بيلاروسيا ودولتي الإتحاد الأوروبي، بولندا وليتوانيا اللتين ترفضان السماح لهم بالعبور.

أهم النتائج جائت لتؤكد، أن مايحدث ، نموذجا جديدا لنوع حديث من الحروب، ذخيرتها لاجئون خرجوا من بلدانهم بحثا عن فرص حياة أفضل، ليجدوا أنفسهم وقودا في معركة جيوستراتيجية، هم ضحيتها.

الكلمات المفتاحية: سلاح اللاجئين؛ أزمة الحدود البيلاروسية – البولندية؛ روسيا؛ الإتحاد الأوروبي.

Abstract :

The circumstances of the refugee crisis on the border between Belarus and Poland, and its repercussions on the humanitarian conditions of refugees ;Reveals the importance of the issue of immigration, which turned from a humanitarian scene into « weapon » in the hands of some countries to obtain certain political tension between the two partie, which has resulted in thousands of migrants stuck in the forests in which they are sheltering on the borders between Belarus and study aims to examine the political tension between the two parties, which was the victim of thousands of migrants stranded in the forests in which they are sheltering, between Belarus and the States of the two European Union countries, Poland and Lithuania who refuse to allow them to pass.. The most important results, came to confirm that what is happening, is a new model for a modern type from war; the ammunition of which is refugees who left their countries in search of better life opportunities, only to find ; themselves as fuel in a geostrategic battle, of which they are the victims.

Keywords: Refugees weapon; Belarusian-Polish border crisis; Rusia; European Union.

1. مقدمة:

في عالم مترابط، تستمر الهجرة الدولية في النمو عبر تدفق المهاجرين من كل أنحاء العالم إلى أوروبا والغرب عموما بحثا عن حياة أفضل، بينما يبحث آخرون عن اللجوء بسبب الصراع أو القمع السياسي في بلدانهم الأصلية.لكن الهجرة البشرية أصبحت سلاحا يستخدم بكثافة أكبر ضمن ترسانة العديد من الدول والجهات، كوسائل غير تقليدية للضغط والتأثير الإقليمي وتحقيق الأهداف، عن طريق الإبتزاز وسياسات الإكراه وعقد الصفقات المشبوهة.

أحد أبرز هذه النماذج كشفته أزمة اللاجئين على الحدود بين بيلاروسيا وبولندا، في ظل تصاعد التوتر بينهما في نوفمبر 2021، المرتبطة بسلسلة أزمات تضرب العلاقات الدولية عموما؛ والعلاقات الروسية الغربية والأمريكية، والعلاقات السيئة جدا بين بيلاروسيا والغرب، ومع بولندا ودول بحر البلطيق، ليتوانيا وإستونيا ولاتفيا، الأعضاء في حلف الناتو الجدد نسبيا؛ في ظل إرتباط هذه الأزمة بمأساة آلاف المهاجرين المحتشدين ضمن الأراضي البيلاروسية، لمحاولة العبور نحو أوروبا عبر إجتياز بولندا.

تبرز أهمية الموضوع، في ظل إستخدام قضية المعاناة الإنسانية إلى مادة تجارة على موائد المساومات بين الدول والحكومات، التي تستخدم ورقة سلاح التهديد باللاجئين لتحقيق مكاسب من ورائها.

على ضوء ذلك، تطرح الدراسة الإشكالية الآتية: ما هي إنعكاسات عسكرة قضية اللاجئين وتقويض مفهوم اللجوء، من خلال نزع الصفة الإنسانية عنها تناقض مبادئ حقوق الإنسان، في التعامل مع قضايا حقوقية نص عليها القانون الدولي، على الحدود البيلاروسية والبولندية ؟

لتحليل هذا الإشكال، تنطلق الدراسة من الفرضية الأساسية التالية:

*إن إستخدام المهاجرين كسلاح، حتى لو كان من المرجح أن تتبعه حكومات قليلة في المستقبل؛ سيكون ورقة مساومة إضافية للضغط في العلاقات الدولية.

يحاول هذا البحث عبر أدواته المعرفية المرتكزة على المنهجين الوصفي والتحليلي في الوقت ذاته، التعمق في أصل المشكلة وحيثياتها ونتائجها.

2. المحور الأول: إستخدام "الهجرات القسرية المهندسة"

هي أداة رائجة ومنتشرة عبر السياسة الدولية، وهي التحركات السكانية عبر الحدود التي يجري تشكيلها أو التلاعب بها عمدا، من أجل الحصول على تنازلات سياسية أو عسكرية أو إقتصادية، من دولة أو عدة دول مستهدفة (1).

ليست هذه المرة الأولى التي تستخدم فيها الحكومات سلاح اللاجئين؛ ففي كتاب "غرينهيل" (سلاح الهجرات الضخمة)، تؤكد الكاتبة التي قامت بدراسة ظاهرة التهديد بإرسال المهاجرين أو اللاجئين ورصدها، أنه منذ خمسينات القرن الماضي، توالت أزمة تهديد أو إرسال مهاجرين ولاجئين عبر الحدود؛ ثلاثة أرباع هذه الأزمات أدت إلى تحقيق الأهداف المنشودة، كليا أو جزئيا، من خلال تغيير أو إيقاف سياسة محددة مسبقا قد إتخذها خصمه، وكذلك قد ينجح في الحصول على مدفوعات مالية أو عينية من هذا الخصم، ففي الفترة من (1951-2006) جرى إستخدام هذه الأداة بمعدل حالة واحدة على الأقل كل عام، وهو معدل لا يستهان به، بالنظر إلى أن معدل إستخدام الحروب الدولية (أداة سياسية) كان 4،82 حالة في العام الواحد، ومعدل إستخدام الحروب الداخلية كان 68،0حالة في العام الواحد.

لم يكن إذن إستخدام المهاجرين كسلاح فعال أمرا مستحدثا، فقد إستخدمته بعض الحكومات الإستبدادية في الماضي؛ فعندما بدأت موسكو السماح لليهود بالهجرة من الإتحاد السوفييتي في عام1971، سمحت عمدا للمجرمين الذين إدعوا زورا أنهم يهود بالإنضمام إليهم،كما إستخدم الزعيم الكوبي فيدال كاسترو نفس التكتيك بفتح موانئ بلاده لفرار 125 ألفا من الكوبيين بصورة فوضوية إلى الولايات المتحدة الأمريكية عبر ميناء ماريبل بحثا عن فرص أفضل، فيما عرف بأزمة ماريبل عام 1980، على خلفية تصاعد الضغط الأمريكي على كوبا، عقب تراجع الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" عن وعوده لكوبا بتخفيف الحصار الإقتصادي عنها؛ حيث أرسل معهم مجرمين مدانين ومرضى نفسيين، صنف إثنان بالمئة منهم على أنهم مجرمون عنيفون ضمن هذه الهجرة الجماعية(2). وقد إستغل 'كاسترو' عامل الوقت لإشعال هذه الأزمة التي تزامنت مع الإنتخابات الأمريكية، الأمر الذي دفع بالرئيس 'كارتر' إلى الإعتراف بالهزيمة، طالبا من كاسترو إنهاء الأزمة، مع وعد بفتح محادثات حول العلاقات الأمريكية -الكوبية بعد فوزه في الولاية الثانية.

لكن منذ نهاية الحرب الباردة، إتخذت الهجرة بعدا سياسيا قويا في الديمقراطيات المتقدمة، حيث دفعت الحروب الأهلية والمجاعات والإضطرابات، من البلقان والعراق وسوريا إلى أفغانستان، أعدادا غير مسبوقة من الناس إلى البحث عن ملاذ في الإقتصاديات الأكثر ثراءا في أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية، حتى وصلت أعداد المهاجرين في عام 2019 إلى 270 مليون مهاجر حول العالم؛ وفقا لصندوق النقد الدولي بعد ما سجل نحو 135 مليونا في عام 1990. ففي المأساة السورية الممتدة منذ 2011، كان أول سلاح إستخدمه النظام السوري، هو تهجير السوريين الرافضين سلطته. وبالنتيجة، كان موضوع اللاجئين السوريين محل تعقيدات سياسية في دول الجوار.

ففي جنوب المتوسط، ربط الإتحاد الأوروبي مساعدات التنمية لبلدان العبور الرئيسة في إفريقيا، بالتعاون في السيطرة على الهجرة؛ أبرم على إثرها ' معمر القذافي' عام 2008، صفقة مع إيطاليا بلغت 5 مليارات دولار، كتعويضات لليبيا لوقف تدفق الأفارقة المتجهين شمالا إلى أوروبا. وعندما إندلعت الثورة وأطيح

بالقذافي، زادت الهجرة بمعدلات سريعة من شمال إفريقيا إلى أوروبا، وصل عددها عام2011 عبر جزيرة لامبيدوزا الإيطالية إلى48000 مهاجر، وإلى 170000 عام 2014. وقد إستغل قادة الميليشيات في الحرب الأهلية الليبية الفرصة، حيث وقعت 'حكومة الوفاق الوطني' في عام 2017 صفقة لوقف الهجرة، حصلت فيها على مزيد من الإعتمادات والمعدات، غير أنها إحتجزت المهاجرين الأفارقة في معسكرات الإعتقال الليبية التي وصفتها "منظمة العفو الدولية" بأنها 'جحيم'.

وبعد موجة اللجوء عام 2015، إستغلت الأحزاب السياسية اليمينية المتشددة والمتطرفة، ورقة اللاجئين والمهاجرين في الوصول إلى السلطة. وبالمقابل خسرت 'إنجيلا ميركل'، المستشارة الألمانية الأقوى خلال الخمسين سنة الماضية، الكثير بسبب موقفها الإيجابي من اللاجئين. كما منحت هذه الصفقات لتركيا القدرة على إستخدام الهجرة كشكل من أشكال الإبتزاز، حيث وافق الإتحاد الأوروبي على دفع (حوالي 6،8 مليار دولار)، لإستضافة اللاجئين على أراضيها. وقد إستمر التهديد التركي بإرسال 3،6 مليون لاجئ إلى أوروبا، للضغط على الإتحاد الأوروبي الذي إنتقد سير العمليات التركية في شمال سوريا ووصفها بالغزو. أدت إلى تخفيف الخطر المخطط له من قبل الإتحاد على مبيعات الأسلحة لأنقرة، وقد شهدت نهاية عام 2016، إطلاق إيران تحذيرا بفتح أبواب تحرك اللاجئين الأفغان الذين يقيمون على أراضيها، والبالغ عددهم ثلاثة ملايين بإتجاه أوروبا، في حال إستمرار الولايات المتحدة الأمريكية بالضغط عليها(3).

وعلى الجانب الأمريكي، قطعت إدارة ترمب في عام2019 المساعدات عن غواتيمالا وهندوراس والسلفادور، بسبب التساهل في السماح بهجرة مواطني أمريكا الوسطى إلى الولايات المتحدة الأمريكية؛ ولم تستعيد هذه الدول المساعدات المالية، إلا بعد ما وافقت على صفقات، تسمح للولايات المتحدة الأمريكية بإعادة المهاجرين الذين يسافرون شمالا عبر أمريكا الوسطى إلى تلك البلدان. وفي إطار إستئناف سياسة "إبق في المكسيك" المثيرة للجدل، التي وضعها دونالد ترمب عام 2019، وافقت الحكومتان الأمريكية والمكسيكية على دفع طالبي اللجوء الذين يتطلعون لدخول أمريكا عبر حدودها الجنوبية، إلى العودة للمكسيك أثناء تقييم السلطات الأمريكية لطلباتهم، مقابل ترتيبات مالية أمريكية تخصص للمكسيك.. وهي السياسة التي وصفها 'بايدن' بأنها " غير إنسانية " وعلق تفعيلها بعدما أصبح رئيسا؛ لأنها تقضي بإعادة أكثر من 60 ألف طالب لجوء عبر الحدود إلى المكسيك، حيث غالبا ماكانت العصابات الإجرامية تستغلهم (4) .

إن ما تقدم لا يؤكد فقط على حقيقة إستخدام المهاجرين كورقة مساومة إضافية في العلاقات الدولية، بل أيضا لخطورة الإستعانة بمصادر خارجية لضبط الهجرة، والذي يعني غالبا غض الطرف عن مراكز الإحتجاز المكتظة، والأعداد الهائلة من الوفيات، وعن الأنظمة الإستبدادية والفساد.

3.المحور الثاني: أزمة المهاجرين على الحدود بين بيلاروسيا وبولندا

بدأت أزمة تدفق المهاجرين بصورة لم يسبق لها مثيل عبر حدود دول أوروبا الشرقية إلى الإتحاد الأوروبي، في أواخر سبتمبر2021، من دول الشرق الأوسط في غالبيتهم، تؤكد الأرقام أن عددهم بلغ أكثر من 4 آلاف مهاجر على حدود بولندا حاليا في ظروف مأساوية، قدموا من بيلاروسيا تحديدا (5).

تأتي أهمية بيلاروسيا بالنسبة للمهاجرين لكونها جارة مهمة لبولندا، إحدى دول الإتحاد الأوروبي؛ إذ يبلغ طول الحدود البيلاروسية- البولندية نحو 398كم، ويبدأ من التقاطع الثلاثي لحدودهما مع ليتوانيا في الشمال، ويمتد إلى حدود التقاطع الثلاثي مع أوكرانيا في الجنوب، وتعد جزءا من حدود الإتحاد الأوروبي مع بيلاروسيا، فنحو 246كم من تلك الحدود تقع تحت حماية وحدة حرس الحدود في الجانب البولندي، بينما يقع 171كم من الحدود في منطقة عمليات وحدة حرس الحدود البيلاروسية(6).

في الواقع أن بيلاروسيا، وهي ليست وجهة مشهورة للمسافرين من الشرق الأوسط، كانت تنقل المهاجرين جوا من العراق إلى أفغانستان وسورية. وتشير التقارير المعتمدة عند الأوروبيين، إلى أن مسؤولين بيلاروسيين وشركة الطيران البيلاروسية الحكومية"بيلافيا"، وشركة خطوط الطيران السورية، وشركة " أجنحة الشام" للطيران السورية الخاصة، وشركات طيران بيلاروسية أخرى؛ متورطين في نقل جزء كبر من هؤلاء اللاجئين القادمين من أفغانستان وسورية، والعراق ومن الإمارات العربية المتحدة، إلى بيلاروسيا بواسطة تسهيلات خاصة قدمتها حكومة بيلاروسيا أثناء دخولهم لأراضيها(7), ومن ثم ترسلهم إلى الحدود مع وعد بإدخالهم إلى الإتحاد الأوروبي؛علما أنه ضمن سلسلة العقوبات الأوروبية الجديدة ضد رئيس بيلاروسيا 'لوكاشينكو'، تمت إضافة هذه الجهات إلى قائمة المعاقبين، علما أن شركة بيلافيا كانت ممنوعة من دخول الأجواء الأوروبية قبل إشتعال أزمة اللاجئين الحالية. وتشير تقارير أخرى، إلى قدوم اللاجئين عبر مطارات بغداد، وبيروت، ودبي، وإسطنبول، وإنطاليا، وموسكو (8)؛ الأمر الذي دفع بولندا إلى الإحتجاج أمام الإتحاد الأوروبي، عقب إحتجاز حرس حدودها 349 مهاجرا . ومن ثم أكدت السلطات البولندية أن رئيس بيلاروسيا، بصدد إستخدام المهاجرين للضغط على الإتحاد الأوروبي وعلى بولندا تحديدا، ردا على العقوبات الأوروبية.

ومما يؤكد ما تقدم، تسريع الحكومة البيلاروسية عدد التأشيرات الممنوحة للمهاجرين الباحثين عن ملاذ من الحرب والفقر في الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا، علما بأن هذه التأشيرات لم يتم إصدارها بغرض السماح للمهاجرين بالبقاء في بيلاروسيا(9). الأمر الذي دفع الإتحاد الأوروبي لإتهام بيلاروسيا بإثارة الأزمة كجزء من هجومها على دوله، عبر منح آلاف المهاجرين ومعظمهم من كردستان العراق، تأشيرات سياحية وتنظيم رحلات إنتقالهم عبر وكلاء سفر، للدفع بهم على حدود بولندا عضو الإتحاد الأوروبي بشكل غير قانوني (10)؛ لطلب حق اللجوء هناك. مما يعني إستخدام المهاجرين كسلاح حرب بشكل قانوني ضد الدول الأوروبية، وتهديدها بأزمات داخلية بين أحزابها الحاكمة، عن طريق إستغلال قوانين الهجرة في الإتحاد الأوروبي؛ في سابقة فريدة

من نوعها لم يكن فيها تدفق المهاجرين طبيعيا، وإنما ثم تدبيره من قبل الحكومة نفسها بإستخدام شركات كواجهة لعصابات تهريب البشر. وسواء كان هؤلاء المهاجرين يفرون حقا من الإضطهاد أو يبحثون ببساطة عن حياة أفضل، فقد خطط العديد منهم لطلب اللجوء، لاسيما في ألمانيا التي تمنح إمتيازا لحقوق الأشخاص المعرضين للخطر.

1.3 دوافع وأبعاد تفجر أزمة المهاجرين واللاجئين:

أولا: الدوافع

هناك عوامل عديدة أدت دورا مهما في تفجر أزمة المهاجرين، يمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- رد بيلاروسيا على العقوبات الأوروبية: على خلفية عدم إعتراف أوروبا بنتائج الإنتخابات الرئاسية التي أجريت في أوت 2020، ودعمها لموجة الإحتجاجات الداخلية المعارضة لها، والتي تحولت إلى عقوبات؛ومن ثم قد يكون من أحد أهداف إفتعال أزمة اللاجئين بين بيلاروسيا وبولندا، لفرض مقايضة بين حل الأزمة ورفع العقوبات الأوروبية؛ ومن ثم فرض الإعتراف الأوروبي بشرعية الرئيس البيلاروسي ' ألكسندر لوكاشينكو'.

2- إستهداف الدول التي تستقبل معارضين بيلاروس: وتعد بولندا من أوائل الدول الداعية إلى ضرورة عقد إجتماع أوروبي على مستوى القمة لمناقشة الوضع في بيلاروسيا، التي تستقبل على أراضيها ومن دون 'فيزا' قادة المعارضة البيلاروسية. بالإضافة إلى أن العاصمة وارسو تضم مقر تلفزيون المعارضة البيلاروسية، يتابعه الكثيرون داخل بيلاروسيا كإعلام بديل عن نظيره الرسمي. الأمر الذي تعتبره بيلاروسيا تدخلا بولندي في شؤونها الداخلية.

3- ممارسة الضغوط على أوروبا: فالحدود البولندية مع بيلاروسيا هي أيضا حدودا للإتحاد الأوروبي، وعليه فإن بروز هذه الأزمة حاليا هو رسالة للقادة الأوروبيين بأن فتح ممر رابع للهجرة، إضافة إلى الممرات الأخرى المتمثلة في (المغرب، جبل طارق، ليبيا، إيطاليا، تركيا، واليونان)، ليس بالأمر الصعب مع كل ما يمثله من إستهداف للأمن الأوروبي .. وبالتالي فإن إستغلال هذا الملف سيحدث إنقساما داخل الصف الأوروبي، ليس فقط على صعيد الرأي العام الأوروبي، ولكن أيضا بين الدول الأعضاء 27 غير المتفقين حول سياسة موحدة حيال ملف الهجرة وحول تنظيم ' الكوتا '، لتقاسم حصص اللاجئين.وهي الأزمة التي وصفها الأوروبيين " بالهجوم الهجين " الذي يهدد إستقرار الإتحاد الأوروبي، عبر إستخدام وسيلة غير عسكرية تتمثل في سلاح الهجرة بنسخة جديدة محدثة تختلف عن سابقاتها، ثم فيها إستقدام المهاجرين في طائرات "شارتر" عبر إستخدام مرافق الدولة وأجهزتها. ومن ثم، فإن تجميع آلاف من اللاجئين وخروجهم جماعيا خلال أيام معدودة إلى الحدود مع بولندا وعبر الأراضي البيلاروسية، يوحي بأنها عملية " إستيراد " للاجئين بتخطيط حكومي رسمي،ولتحقيق أهداف سياسية وإقتصادية من خلال إبتزاز الأوروبيين(11).

4- محاولة بيلاروسيا الحصول على تنازلات أوروبية: من خلال دفع أوروبا نحو تقديم تنازلات، الأمر الذي تبلور عنه إقتناع أوروبي بضلوع روسيا في أزمة المهاجرين الحالية، وبأن بوتين هو صاحب المناورة الحقيقي، حيث إعتبر وزير الداخلية الألماني "هورست زيهوفر"، أن موسكو هي من تملك مفاتيح أزمة المهاجرين في بيلاروسيا (12). ففي ظل علاقات متوترة بين بيلاروسيا ودول أوروبا الشرقية، وبشكل خاص مع بولندا ودول البلطيق،وكذلك مع دول أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية؛ تعتمد بيلاروسيا بشكل كبير جدا على علاقاتها التاريخية مع روسيا. وكنتيجة لذلك يمكن القول أن لروسيا تأثيرا كبيرا وأساسيا على سياسة بيلاروسيا؛ الأمر الذي يرجع أسباب توتر العلاقات البيلاروسية الغربية إلى توتر علاقات الغرب بروسيا، ومن ثم إتخذت العلاقات مسارات تصعيد التوتر بين الجانبين خصوصا مع توسع حلف الناتو بإتجاه الشرق إقترابا من حدود روسيا،ونشر الصواريخ الأمريكية في أوروبا الشرقية وصولا إلى دول البلطيق، ذات الموقع الحساس جدا بالنسبة إلى روسيا.

تتشابك إذن مصالح عدة لدى الحكومة البيلاروسية، في ظل زيادة العقوبات الإقتصادية عليها، والتي زادت من تدهور مشكلات إقتصادها، فأصبحت على خط " لن يكون أسوأ مما كان" في علاقتها مع الغرب. ومن ثم فإن تجميع آلاف من اللاجئين وخروجهم جماعيا خلال أيام معدودة إلى الحدود مع بولندا عبر الأراضي البيلاروسية، يوحي بأنها عملية "إستيراد" للاجئين بتخطيط حكومي رسمي، ولتحقيق أهداف سياسية وإقتصادية من خلال إبتزاز الأوروبيين.

ثانيا: أبعاد الأزمة

يتمثل أهمها في الآتي:

1- البعد الإنساني: ترجح التقديرات وجود ما بين 15 و20 ألف من المستدرجين الأجانب إلى بلاروسيا، بينما توجد على الحدود مع بولندا بضعة آلاف منهم فقط، وعلى الجهة المقابلة من الحدود يوجد 15 ألف جندي بولندي، لمنع أي محاولة إجتياز للحدود وإجبار اللاجئين على العودة. ويبدو أن الأزمة بين بيلاروسيا وبولندا، نجحت في وضع الإتحاد الأوروبي في مواجهة تناقضاته، حيث يروج الإتحاد إلى أنه المدافع الأول عن حقوق الإنسان في العالم؛ فيما أظهرت هذه الأزمة أن الحسابات الإنسانية أصبحت تأتي في ترتيب متأخر ضمن سلم الأولويات الأوروبية، ويتحجج بأنه في مواجهة "نظام سلطوي" يحاول إستغلال المسائل الإنسانية لزعزعة إستقرار جيرانه؛ فلا بأس من غض النظر عن الأولويات والإعتبارات الإنسانية(13).

2- البعد الإستراتيجي: تعتبر الحسابات الإستراتيجية للأطراف المنخرطة في الأزمة الحدودية بين بيلاروسيا وبولندا، مهمة لفهم حقيقة المواقف التي أفرزتها والتي تتخطى في عمقها بعد الإقسام بين طرف معتد وآخر معتدى عليه.

وعليه يمكن رصد ثلاث أنواع من الحسابات، وهي:

(أ) إستغلال بيلاروسي؛ من خلال إصطناع هذه الأزمة، فكما تفاوض الأوروبيون مع الرئيس التركي 'رجب طيب أردوغان'، خلال موجة اللجوء في عام 2015، فما المانع من التفاوض مع الرئيس مع البيلاروسي 'لوكاشينكو'، في عام 2021(14).

(ب) إستغلال بولندي؛ تحاول وارسو عن طريق إستغلال الأزمة مع بيلاروسيا، إبراز أهمية دورها كبوابة تحمي الحدود أوروبا الشرقية؛ مقابل الحصول على تأييد أوروبي لدعم سياستها الخاصة حول الهجرة، والمتمثلة في دفع الإتحاد الأوروبي إلى تمويل الجدار الذي تريد بناءه على حدودها مع بيلاروسيا. وقد نجحت في إقناع 12 دولة أوروبية، لكنها ترفض أي مساعدة من " الوكالة الأوروبية لحرس الحدود والسواحل"، والتي تتخذ من العاصمة البولندية مقرا لها (15).

(ج) إستغلال روسي؛ تستغل موسكو أزمة المهاجرين لتحقيق هدفان أساسيان(16):

الأول: دفع الأوروبيين للتفاوض مع الرئيس البيلاروسي لإخراج بلاده من العزلة بعد إنتخابات 2020،وهذا سيعزز سيطرته أكثر على بيلاروسيا، ويضع حدا للسيناريوهات التي كانت تراهن على تغير في الإصطفاف البيلاروسي لمصلحة الأوروبيين، كما حصل في أوكرانيا.

الثاني: زعزعة الإستقرار الأوروبي، عبر دفع الدول الأوروبية إلى الإنقسام حول موضوع الهجرة، وتهديد التيار المعتدل في أوروبا، الذي يخسر تمثيليا بعد كل أزمة لجوء، أمام التيارات الشعبوية وأحزاب أقصى اليمين.

3- البعد الإقتصادي: أوضحت خطوات التصعيد التي إتخذتها بيلاروسيا خلال الأزمة مع بولندا، التركيز على الموضوعات الأكثر حساسية بالنسبة لأوروبا، وهما: الهجرة والطاقة؛ ردا على إستعداد الإتحاد الأوروبي لفرض عقوبات جديدة عليها. وعليه هددت بقطع إمدادات الغاز الروسي عن أوروبا التي تمر عبر بيلاروسيا.يأتي هذا التهديد عقب الإرتفاع الكبير في أسعار الغاز الذي عرفته أوروبا مؤخرا، وبالتالي فإن أي إنقطاع جديد لهذه الإمدادات سيؤدي إلى تزايد إرتفاع الأسعار؛ مما سيهدد قطاعات واسعة من الإقتصاد الأوروبي. ويكشف هذا التهديد أيضا عن الرغبة الروسية للتسريع في إتمام عملية أنابيب 'السيل الشمالي-2-' المعروف (بنورد ستريم 2)، وهو مشروع لنقل الغاز مباشرة من روسيا إلى ألمانيا عبر بحر البلطيق، بأنبوب مزدوج يتجاوز طول كل فرع منه 1200 كيلومتر، وهو بذلك يكون أطول خط أنابيب تحت مياه البحر، بدأ العمل عليه في 2018 بميزانية حددت آنذاك بنحو 8 مليارات دولار، بإمكانية نقل تبلغ نحو 55 مليار متر مكعب(1). أي قدرته على تلبية كامل الحاجة الأوروبية للوقود الأزرق، كما يذهب إلى ذلك الخبير الإقتصادي في مركز صوفيا للدراسات " أندري يرمولايف"، بقوله: " بورقة الغاز، روسيا تدفع أوروبا نحو إعادة التطبيع معها، بعد قطيعة نسبية سببها العدوان الروسي على أوكرانيا منذ عام 2014؛ وفي الوقت ذاته توجيه ضربة إلى أوكرانيا من خلال تصفير عملية نقل الغاز الروسي عبرها إلى أوروبا؛ وإيصال رسالة بأن التفكير في إستغلال الأنبوب الذي يمر عبر بيلاروسيا، والذي يعمل

بثلث طاقته مهدد أيضا بالإنقطاع في أي لحظة"(17).

ومن ثم فإن إفتعال أزمة اللاجئين على الحدود البيلاروسية–البولندية مرتبط بما يعرف بالمسألة "الأوكرانية"، من خلال إستغلال فترة إنشغال الولايات المتحدة الأمريكية بصراعها مع الصين من أجل حسم الملف الأوكراني، من خلال التهيئة لعمل عسكري ضدها، في تقرير له نشر من قبل موسكو، هدفها ضم أوكرانيا على غرار ضم جزيرة MilitaryTime القرم. وبتاريخ 20 نوفمبر2021 قد ذكر موقع أن السلطات الأوكرانية تتوقع أن تقوم روسيا بمهاجمتها مع بداية عام 2022؛ ومن ثم فإن هدف "بوتين " من وراء هذه التصعيدات، الدفع نحو تعديل إتفاقية " مينسك2"(18)، لجعل أوكرانيا أكثر حيادية على الصعيدين السياسي والعسكري،بإبعاد شبح إنضمامها لحلف الناتو،وبالتالي إبعاد الناتو عن الحدود الروسية.

4.المحور الثالث: سياق ومآلات إستخدام اللاجئين كورقة ضغط

أفرزت الأزمة بين بيلاروسيا وبولندا سياقات من التأثيرات أهمها:

1.4 حدود دور الدولة في حل الأزمات:

(أ) إستطاعت بولندا على المدى القصير فرض رؤيتها في طريقة معالجة الأزمة مع بيلاروسيا، على الرغم من وجود مطالبات أوروبية، بالإضافة إلى بعض منظمات المجتمع المدني البولندي، بإنتهاج حلول أخرى غير الحل الأمني المتمثل في عدم السماح للاجئين بالعبور، عبر طرح أفكار بديلة من قبيل إنشاء ممر إلى ألمانيا. ولكن وجهة نظر السلطات البولندية والتي لاقت دعما من بعض الدول الأوروبية الأخرى، كانت ترى أن إقامة هذا الممر الإنساني سيشجع " الأنظمة السلطوية" على الإستمرار في إغراق أوروبا باللاجئين.

في الحقيقة، فإن بولندا أو غيرها من الدول، تستطيع معالجة أي أزمة لجوء طالما بقي حجم هذه الأزمة ضمن حدود معينة، لكن في حال توسعت أبعادها ووصل تدفق اللاجئين إلى مئات الآلاف فإن أي دولة بمفردها لن تستطيع فرض رؤيتها في الحل.

(ب) على الرغم من مغادرة بضع مئات اللاجئين حسب تقديرات بيلاروسيا، فيما سيتم منح الباقي ملاجئ مجهزة بالتجهيزات الأساسية، ومنها التدفئة في هذا الجو شديد البرودة على مسافة غير بعيدة من الحدود البولندية، وهذا ما أكدته هذه الأخيرة(19). إلا أن ذلك لم يؤدي إلى إنهاء الأزمة، ما حدث هو تدخل قوي من قبل المستشارة الألمانية 'إنجيلا ميركل' مع تقديم وعود معلنة وغير معلنة قدمتها للنظام البيلاروسي، أدت إلى حلحلة الأزمة مؤقتا.

فحسب المعلن، وعدت ميركل بمناقشة موضوع اللاجئين مع الشركاء الأوروبيين، بتقديم ضمانات مالية للتكفل على الأقل تكاليف إبقاء اللاجئين في منشآت خاصة في بيلاروسيا؛ في ظل صعوبة إقناع الحكومة الألمانية والشركاء الأوروبيين، بإستقبال بضعة آلاف إضافية من اللاجئين المقيمين على حدود الأزمة حاليا.

وعليه الأرجح هو محاولة تهدئة الأوضاع وإخراجها من ساحة الإعلام، للتعامل مع الأزمة تدريجيا وبهدوء؛ لضمان وضع حد للإبتزازات تجاه الأوروبيين مستقبلا من الخصم البيلاروسي الذي يدعمه حليفه الروسي، فأصبح بوضع يسمح له بإستخدام كل الأساليب؛ في ظل علاقات وصلت إلى أقصى درجات التدهور مع الغرب.

2.4 تقدم المقاربة الأمنية في معالجة مسألة الهجرة:

أظهرت الأزمة بين بيلاروسيا وبولندا، إتساع مساحة التأييد للمقاربة الأمنية في إدارة الهجرة عن غيرها من المقاربات الأخرى، في ظل تزايد عدد الدول الأوروبية التي تؤيد فكرة حماية حدود الإتحاد الأوروبي عبر بناء الجدران، لمنع الهجرة غير القانونية. فقد وجهت 12 دولة أوروبية رسالة إلى المفوضية للشؤون الداخلية، في أكتوبر 2021، تعتبر فيها أنه على الإتحاد الأوروبي تمويل عملية بناء هذه الجدران. كما تم تسجيل أول تباين في الرأي داخل مؤسسات الإتحاد الأوروبي بين مؤيد ومعارض؛ الأمر الذي لم يمنع من بناء آلاف الكيلومترات من الجدران تمتد على الحدود؛ مثل الجدار الذي بنته اليونان على حدودها مع تركيا، والجدار الذي يفصل بين المجر وكرواتيا، والجدران على الحدود البلغارية والليتوانية والإسبانية، فيما أعلنت بولندا عزمها إقامة جدارا على الحدود البيلاروسية بكلفة 353 مليون يورو لأكثر من 100 كيلومتر. بالمقابل يدفع اللاجؤون الفاتورة الأكبر، فالمؤكد حسب الإحصائيات وفاة 11 شخصا على الأقل، كان أصغرها طفل بعمر سنة واحدة(20).

يمكن القول أنه كما هي عادة الصراعات الدولية، فإن ضحاياها من المدنيين ليسوا سوى ورقة من أوراق اللعب السياسية؛ فهذه الأزمة الإنسانية بعمقها هي في الواقع مجرد فصل جديد من فصول الصراع بين حكومات الدول، وهو ذات الصراع الذي يزداد بشاعة وإنحطاطا أخلاقيا. فبالنسبة لبيلاروسيا، فإنها لم تكن أساسا ملجأ للاجئين، حيث يبحث سكانها أنفسهم عن بلد لجوء بسبب دكتاتورية وفساد نظامها، برئاسة "لوكاشنكو".وبولندا هي الأخرى لم تكن تمثل مطمعا كبلد للجوء، فلا حكومتها ولا سياسيوها اليمينيون مستعدون لمناقشة الفكرة، ولا

وضعها الإقتصادي يساعدها في أن تكون مستقرا للاجئين، وتبقى الحقيقة الصعبة، هو إستخدام اللاجئين على إختلاف جنسياتهم كأوراق ضغط بين حكومات الدول، في خضم صراعاتها المتزايدة والمتصاعدة على حساب مبادئ القانون الدولي الإنساني وحقوق الإنسان الأساسية.

3.4 جحيم اللاجئين على الحدود البيلاروسية–البولندية:

تجدر الإشارة إلى أن آلاف المهاجرين يحتمون في ظروف قاسية داخل الغابات على الحدود بين بيلاروسيا ودولتي الإتحاد الأوروبي، بولندا وليتوانيا اللتين ترفضان السماح لهم بالعبور، مما يزيد المخاوف على سلامة البقية مع ظروف الشتاء القارس. ويزداد الوضع الإنساني لهؤلاء المهاجرين سوءا، بسبب مواصلتهم الإحتشاد على الحدود بين بيلاروسيا وبولندا وسط أحوال جوية قاسية(21) ، فما لا يقل عن11 مهاجرا لقوا

حتفهم وفقا لما أدلت به 'مجموعة بوردرز' البولندية، وهي منظمة إنسانية لتسجيل التقارير عن وفاة المهاجرين(22).و قد ذكرت الشرطة البولندية في 14 نوفمبر 2021، أنها ألقت القبض على جميع المهاجرين الذين تمكنوا من عبور الحدود وتم نقلهم مباشرة إلى حدود بيلاروسيا، بذريعة أن بولندا تطبق قانون طوارئ سار للمنطقة الحدودية، ينص على أن الشخص الذي يدخل البلاد بشكل غير قانوني يجب أن يغادر الأراضي البولندية. كما يقيد هذا القانون الحقوق المدنية ويحظر التظاهر في المنطقة؛ ومن ثم فإن فرض القانون يعني منع تقييم البيانات الحكومية حول الوضع على الحدود بشكل مستقل، وحتى منع الصحفيين ومنظمات الإغاثة من دخول المنطقة(23).

وبسبب كل ما سبق، دعت وكالات الأمم المتحدة السلطات إلى إحترام حقوق المهاجرين واللاجئين، بموجب قوانين حقوق الإنسان الدولية وقوانين اللاجئين، لاسيما أن العديد منهم لقوا حتفهم بسبب النوم في ظروف التجمد في الغبات والأراضي الرطبة، التي تشكل المنطقة الحدودية؛ فيما حاولت منظمات إنسانية تقديم الماء والغذاء والمشورة القانونية لهم(24).

في الحقيقة تزداد أوضاع هؤلاء المهاجرين سوءا، خصوصا أولائك الذين تقطعت بهم السبل داخل بيلاروسيا؛ لاسيما بعد أن ألقوا الحجارة على حرس الحدود البولنديين، واستخدموا جذوع الأشجار لكسر سياج من الأسلاك الشائكة خلال الليل، في محاولات جديدة للدخول بالقوة إلى فضاء الإتحاد الأوروبي(25). فيما أطلقت مكبرات الصوت البولندية الصيحات الآتية: إنتبهوا، إنتبهوا، العبور غير القانوني ستواجهه إتهامات جنائية؛ مما دفع المهاجرين إلى نصب الخيم البدائية عند المعبر الحدودي، حيث وجهت القوات البيلاروسية الحشود نحو الخط الأخير من الأسلاك الشائكة البولندية(26) .

وفي ضوء ما تقدم، جددت السلطات البولندية إستياءها من محاولات المهاجرين التوغل في أرض البلاد، لاسيما أن البرلمان كان قد أقر قانونا يجيز طرد وترحيل مهاجرين يعبرون الحدود البيلاروسية البولندية دون ترخيص، ومنعهم من الدخول إلى أراضي بولندا لمدة من الممكن أن تصل إلى ثلاثة أعوام، كما يجوز للسلطات البولندية وفقا لقرار البرلمان أن ترفض البث في طلب اللجوء الذي قدمه مهاجر غير شرعي. علاوة على ذلك وافق البرلمان على إنشاء جدار على الحدود البولندية البيلاروسية، لمنع توغل المهاجرين غير الشرعيين في أراضي البلاد. وزارة الدفاع البولندية من جهتها صرحت، أن المهاجرين الذين تقطعت بهم السبل على الجانب البيلاروسي من الحدود، أفادوا بوقوع إنتهاكات جسدية من قبل قوات الأمن على جانبي الحدود(27).

وبين الحملات الإعلامية والتراشق بين مسئولي الجارتين العدوتين، ومن خلفهما يقف كل من الإتحاد الأوروبي وروسيا؛ يبدو أن الإنعكاسات السياسية لأزمة المهاجرين باتت تخطف الأضواء على حساب جوانبها الإنسانية الملحة.جميع الأطراف منخرطة في أكثر أنواع السياسة قذارة؛ ففي الوقت الذي ترفض فيه بيلاروسيا

السماح بوصول المساعدات إلى اللاجئين، تتباهى في الوقت نفسه بمساعدتها في إجلاء الأفغان من كابول(28). وعلى نحو مماثل ترفض بولندا دخول اللاجئين الأفغان، بينما تقبل في نفس الوقت آلاف البيلاروسيين الفارين من دكتاتورية 'لوشينكو'.

5. الخاتمة:

لقد وصف 'كارل فون كلاوزفيتز' المنظر العسكري الحرب، بأنها إستمرار للسياسة بوسائل أخرى. لكن في العصر النووي تكون الحرب في الأغلب خيارا لا يمكن سبر أغواره، ولهذا كان لابد من إستمرار السياسة العالمية بوسائل أخرى، ما أسماه " صراعات الإتصال". وعليه، فإن الواقع يشهد على أن الحكومات تتلاعب بالأشياء ذاتها التي تربط الدول ببعضها بعضا: حركة الناس؛ وتغير المناخ؛ وفوق كل ذلك الإنترنت. ومن ثم أصبح إستخدام الهجرة كسلاح، ممارسة تكميلية متكررة لأشكال أخرى من الضغط، مثل العقوبات؛ والحرب السيبرانية؛ وحرب المعلومات.

فالطبيعة غير الرسمية التي تتسم بها هذه النزاعات، تجعل من الصعب فهم الأسباب وراء إتخاذ قرارات بعينها. ومن ثم عندما يتعلق الأمر بشأن الهجرة، كيف ينبغي لأي حكومة ترتيب أولويات القانون الدولي، وسلامة البشر ونفوذها الشخصي. وعليه بدلا من إزالة التوترات القائمة بين الدول، تقدم قوة الإتصال وسائل جديدة للتنافس والإنخراط في الصراع، بحيث يصبح الخط الفاصل بين الحرب والسلام رفيعا جدا.

في هذا السياق، تعد الحملة البيلاروسية من أعراض بيئة السياسة الخارجية المتغيرة، حيث يستعاض عن الحروب التقليدية بأشكال جديدة من العدوان. وهنا تعد قوة الإتصال والإرتباط بين الناس والدول، العملات الجديدة المفضلة للقوة. ما يحدث ليس مجرد أزمة ثنائية بين بيلاروسيا وبولندا، بل أزمة متعددة الأقطاب تستعيد أجواء الحرب الباردة، رغم إختلاف الصورة وتغيير الحدود، حيث الإتحاد الأوروبي ومعه حلف الناتو في مواجهة روسيا وحلفائها؛ يتحول فيها بؤساء الأرض إلى عتاد حربي.

قائمة الهوامش:

1- طلال الربيعي، إستخدام (موجات) اللاجئين كسلاح سياسي – إقتصادي، مركز الدراسات والأبحاث العلمانية في العالم العربي، على الرابط:1=ac&483382=aidd? Caw.org/ar/print,art,2015/09/5asp

2- Hideaki Kami, Diplomcy Meets Migration :US Relations with Cuba during the Cold War. New York:Cambridge University Press,2018. The Japan Institute of International Affairs. on the link : https://www.jiia.or.jp /en/column/2021/09/economy-security-linkages-fy2021-03.html

3- مقال في جريدة فوا، تارخ النشر 24 أكتوبر 2016، على الرابط: https://bit.ly/3mBxCGI

4- طارق الشامي، هل تتخلى أمريكا وأوروبا عن قيم وقوانين الهجرة لتحقيق مصالح سياسية ؟ تاريخ النشر: 5 /12/ 2021، على الرابط:&/283096 /https://www.independent arabia.com/node

5- بدون صاحب مقال، وصول 349 مهاجرا إلى بولندا عبر بيلاروسيا، على الرابط: https://www.infomigrants.net

6- الحدود بين روسيا البيضاء وبولندا، على الرابط: https://stringfixer.com

7- تقرير نيويورك تايمز، 18 نوفمبر 2021، على الرابط: https://nyti.ms/3HJMOJw

8- تقرير البي بي سي، 18نوفمبر 2021، على الرابط: https //www.bbc.com/news/59233244

9- ROB SCHMITS,Here's what it's like for migrants trapped between Belarus and Poland.https://www.npr.org

10-Robin Emmott and Tuvan GumruKCu, Turkey Curbs flights to Belarus to ease migrant Crisis. on the link : https://www.reuters.com

11- Anna Lippert, Biélorussie : la crise à la frontière en cinq questions, Les Echos, 12 novembre 2021 a14h :30.Mise à jour le 17/11/2021 a 12 :43. on the link : https://www.lesechos.fr/monde/europe/bielorussie-la-crise-a-la-frontière-en-cinq-questions-1363263

12 – نوار الصمد، لعبة لوكاشينكو – بوتين، حسابات متناقضة إزاء أزمة الهجرة بين بيلاروسيا وبولندا، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، تاريخ النشر02/12/ 2021، على الرابط: https://futureuae.com/ar-AE/MainpageItem/6912

13- صحيفة " نيويورك تايمز "، " هجوم وليس أزمة هجرة " .. أسباب رفض أوروبا فتح حدود بولندا للاجئين، الحرة على الرابط: https://www.alhurra.com/arabic-and- دبي، -/ترجمات- international/2021/11/11%D9%87%D8%AC%D9%88%D9%85-%

14 – بدون صاحب مقال، اللاجئون .. سلاح الشرق "الفتاك"، تاريخ الإطلاع: 2021/12/15، على الرابط: https://www.enbbaladi.net/archives/511951

15- بدون صاحب مقال، بولندا تسوق أزمة المهاجرين كأكبر تهديد لأوروبا منذ الحرب الباردة، صحيفة الخليج، تاريخ النشر2021/11/21، على الرابط: https://www.alkhaleej.ae/2O21-11-21

16- بدون صاحب مقال، بوتين وسياسة " إقتناص الفرص": الإستثمار بالأزمات لفرض الحوار على الأوروبيين، تاريخ النشر،2021/11/21، على الرابط: https://www.inc-doualiya.com20211121

17- بدون صاحب مقال، ما قصة مشروع الغاز نورد "ستريم2" الروسي ولماذا تخشاه أوكرانيا وأمريكا؟ شبكة الجزيرة نت، تاريخ النشر 21نوفمبر2021، على الرابط: https://www.aljazeera.net/ebusiness/2021/11/21

18-Heinrich-Boll-Stiftung,Crise géopolitique et humanitaire à la frontière européenne entre le Belarus et la Pologne(Fil d'actu), Le Courier d'Europe Centrale.16 novembre 2021. on the link : https://courrier d'europe-entre-le-belarus-et-la-pologne-fil-dactu-vers-un-etat-d'urgence/

19- محمد حامد، بعد تدحرج كرة النار بأوكرانيا .. إتفاقية "مينسك" على الطاولة، موقع "سكاي نيوز عربية "، تاريخ النشر: 21جانفي2022،على الرابط: https:www.skynewsarabia.com/world/1495177

20- تقرير من البي بي سي، بتاريخ 19 نوفمبر 2021، على الرابط:https :bbc.in /3x8hkhT

21- تقرير منظمة المواطن العالمي، بتاريخ 19 نوفمبر 2021، على الرابط:https://bit.ly/3xhwMC8

22- Robin Emmott and Tuvan Gumrukcu, op.cit

23- بدون صاحب مقال، تفاقم أزمة اللاجئين على الحدود مع بولندا .. تهديدات أوروبية بعقوبات على بيلاروسيا، ولوكاشينكو يلوح بقطع الغاز، تاريخ الإطلاع 25 ديسمبر 2021، على الرابط:https://www.aljazeera.net

24- بدون صاحب مقال، المرض يستهدف اللاجئين عند حدود بيلاروسيا وبولندا، تاريخ الإطلاع 25 جانفي2022، على الرابط: https://www.mawazin.net

25-Paul Adams and Joshua Nevett, Poland-Belarus :How social media post fuelled the migrant. on the link : crisis.https://www.bbc.com

26- بدون صاحب مقال، مهاجرون يخترقون الحدود وسط الأزمة بين بولندا وبيلاروسيا، تاريخ الإطلاع: 14 نوفمبر 2021، على الرابط:https://www.dw.com

27-Andrius Sytas and Joanna Plucinska,Neighbours of Belarus say migrant crisis risks military clash. on the link : https://www.reuters.com

28-Ellen Loanes,Why Belarus is using migrants as a political Weapon. on the link : https://www.vox.com